شرح منظومة السير الى الله والدار الاخرة

الدرس الاول

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن أتبع هداه أما بعد:

حياكم الله إخوتي جميعًا وأسال الله سبحانه وتعالى لي ولكم السداد والتوفيق .

في بداية هذه الكلمة نشكر بعد شكر الله سبحانه وتعالى حكام هذا البلد المبارك ودائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دبي والقائمين على هذه الدورة وعلى رأسهم الوالد أبي محمد أسال الله جل وعلا له الصحة والعافية والأجر والمثوبة وأبنائه الكرام، نشكركم على حظوركم والإخوة المشايخ القائمون على هذا المسجد والمشاركون لنا في الدروة فنسأل الله جل وعلا أن يكتب لنا ولهم الإخلاص جميعًا وأن يرفع بهذه الأعمال الدرجات عند الله سبحانه وتعالى .

إخوتي الكرام سنبدأ في التعليق على هذه المنظومة للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى تكلم المشايخ فيمن قبلي عن جملة من آثاره ومؤلفاته فمؤلفاته نافعة ومليئة بالأدلة في شتى العلوم وكما تلاحظون هذه الدورة تنوعت العلوم والمؤلف واحد وهو السعدي رحمه الله تعالى فنسأل الله عز وجل أن يغفر له ويرفع درجاته وأن يجمعنا وإياكم به في جناتٍ نعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

هذه القصيدة التي عنونها رحمه الله تعالى بمنظومة أو السير إلى الله والدار الآخرة وكان رحمه الله أيضًا علق على هذه القصيدة تعليقًا موجزًا يبين معانيها برسالته أيضًا "الدرة الفاخرة في التعليق على منظومة السير إلى الله والدار الآخرة" وسنتكلم عن جملة من مقاصد هذه القصيدة فأبياتها ثمانية عشر بيتًا أشتملت على أصول العبادة فهذه القصيدة من عنوانها يظهر أن مقصود ناظمها هو بيان منازل السائرين إلى الله ومقامات العبودية وأسباب دخول الجنة والسعادة فهذا خلاصة ما تتكلم عنه هذه القصيدة بيان مقامات العبودية ومنازل السائرين إلى الله والدار الآخرة وأسباب السعادة ودخول الجنة ويظهر من هذه الأبيات أنه في كل بيت ذكر مقامًا من مقامات العبودية أو أثر من مقام، وكل بيت يصلح قصيدة إذ أبياته نفيسة وجامعة لجملة من مقامات السائرين إلى الله عز وجل فلا يمكن للعبد أن يسير إلى الله وإلى الدار

الآخرة وإلى السعادة إلا بتحقيق هذه المقامات وتحقيق هذه المنازل التي جاء الحث عليها في كتاب الله وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم وتواترت في أقوال السلف الصالح كما سيأتي في كل مقام نوضحه ونبينه ونذكر جملة من أنواعه ومسائله .

والعبد إخوتي في الله إذا عرف أنه ما خلق في هذه الحياة الدنيا إلا لأجل عبادة الله عز وجل وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، وأيقن أنه في هذه الدار سائر إلى دار البقاء مغادر دار الفناء مقبل على الواحد الأحد سبحانه وتعالى فأما إلى جنة عرضها السموات والأرض جعلنا الله وإياكم ووالدينا من أهلها وإما نار تلظى أجارنا الله وإياكم منها، فالدار الآخرة تحتاج إلى سير، السير بالعمل والإعتقاد في جميع مقامات العبودية التي سينبه عنها، فالدنيا دار بلاء وفتن وأمتحان وهم وغم بخلاف الآخرة فإنها لمن دخل الجنة دار السعادة ولمن دخل النار دار الشقاء، الله عز وجل بين في كتابه منزلة الدنيا ومنزلة الآخرة وبين نبينا صلى الله عليه وسلم غاية البيان منزلة الدنيا وحقارتها وأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة فإذا أيقن العبد أن هذه الدنيا لا تعدل شيء ولا تستحق أن يتعب لها الإنسان وأنه ماضٍ إلى الآخرة وتاركها خلفه أقبل على الله في سيره إلى الله والدار الآخرة .

ومن أعظم ما يحث المسلم على سيره إلى الله والدار الآخرة أن يتدبر نصوص الشريعة في بيان منزلة الدنيا وحقارتها الله سبحانه وتعالى قال (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (آل عمران – الآية ١٤) ذلك من باب التحقير لهذه الدنيا وبين منزلة الدار الآخرة وهي عند الله عز وجل حسن المآب وقال سبحانه (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) (الحديد – الآية ٢٠) كمطر جاء إلى زرع فأنبت هذا الزرع فأعجب منه الزراع أو الكفار ثم جاءت الريح فهاجت إليه فأصبح مصفرًا ثم بعد ذلك صار حطامًا هذا حال الدنيا وأما الآخرة فأنت بين مقامين فأختر أيهما شئت (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ)، أما أن تسلك وتسير إلى الدار الآخرة بسير أهل النار أو أن تسير

بسير أهل الرضوان وأهل الجنة ثم بين حقيقة الدنيا فقال (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) تغر العبد ويظن أنه باقٍ فيها ويجمع ويستمريء المعاصي ويتساهل فيها فإذا أقبل على الله والدار الآخرة ندم وتمنى لو يرجع ويركع ركعتين أو يتصدق بصدقة ولكن لا ينفع الندم ولا تنفع في ذلك الوقت ليت الله عز وجل قال (وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۞ وَزُخْرُفًا) (الزخرف - الآية ٣٥) ذكر بعض نعيم أهل الدنيا (وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إذا وازن المرء بين الدنيا والآخرة أشتد سيره إلى الله والدار الآخرة وأصبح من السابقين، النبي صلى الله عليه وسلم يقول (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فينظر بم ترجع) تدبر هذا المثل عندك بحر تضع أصبعك وتخرج أصبعك هذه هي الدنيا أمام الآخرة النبي صلى الله عليه وسلم يقول (ما لي وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراحل أستظل في ظل شجرة ثم ذهب وتركها) هي ليست دار مقام وإنما هي دار مرور والبقاء للآخرة، ولو كانت الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقا الكافر ماذا ؟ شربة ماء، وكما قال عليه الصلاة والسلام (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) وأوصانا نبينا عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث كما قال أبن رجب هو أصل في قصر الأمل، المسلم يقصر أمله من الدنيا، في حديث أبن عمر رضي الله عنهما قال (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) فالغريب يدخل بلدًا ثم يخرج ويتركه وعابر السبيل أيضًا كذلك يدخل بلدًا يأخذ منه متاعه ثم يمشي ويتركه والمصير إلى الموطن الأول هو الجنة موطن نبينا آدم التي أخرج منها لذلك أبن عمر رضي الله تعالى عنه يقول (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك) فالعيش الحقيقي هو عيش الآخرة كما كان عليه الصلاة والسلام يقول (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) هذا هو العيش الحقيقي أما ما نعيشه الآن هو ليس بعيش حقيقي وإنما هو موطن إختبار وإبتلاء ينظر الله ماذا تعمل هل أنت تسير على الطريق الصحيح أم أنت تسير على طريق الهلاك وطريق الضياع وبيّن الله سبحانه وتعالى في كتابه أن التجار على نوعين إما تجار الدنيا وإما تجار الآخرة تجار الدنيا قال عز وجل (رِجَالٌ لَّا

تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) (النور – الآية ٣٧) لأن من تجار الدنيا من تلهيهم التجارة عن ذكر الله عز وجل وأما تجار الآخرة فهي التي قال الله عز وجل عنها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (الصف – الآية١٠- ١١) هذه هي التجارة الحقيقية والربح الحقيقي والنجاة الحقيقية والسعادة الحقيقية وهو أن يكون العبد سائرًا إلى الله والدار الآخرة على مقامات المتعبدين التي دلت عليها النصوص والتي سيذكرها المؤلف رحمه الله تعالى، إذًا لا بد للعبد إخوتي في الله بعد أن عرف حال الدنيا ومنزلتها وأنها دار الغم والهم

مالي وللدنيا وليست ببغيتي ولا منتهى قصدي ولست أنا لها
ولست بميال إليها ولا إلى رئاستها فتنًا وقبحًا لحالها
هي الدار دار الهم والغم والعنى سريع تفانيها سريع زوالها
إذا أضحكت أبكت ومن رام وصلها غبي فيا سرع إنقطاع وصالها .

فهذا الأمر من أعظم ما يعين العبد على سيره على الطريق الصحيح إلى الله والدار الآخرة ومقامات العبادة ومقامات المتعبدين هي التي ينبغي على أهل العبادة أن يقيموها ويسيروا عليها وهي كثيرة وذكر أبن القيم رحمه الله تعالى في كتابه "مدارج السالكين" جملة كبيرة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين، منازل العبادة ومقامات العبودية .

والعبادة كما تعرفون لها تعريفان مشهوران:

التعريف الاول للعبادة : هو بالنظر إلى ما يعمله العبد وهو التعريف المشهور إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وبالنظر إلى ما يقوم في قلب العبد فهو كمال الذل مع كمال المحبة كمال الذل والخضوع مع كمال المحبة .

والعبادة لا تكون إلا باركان ثلاثة وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل وهذه الأركان هي المحبة والرجاء والخوف وهي من مقامات المتعبدين وسيأتي الكلام عنها .

والعبادة أنواع كثيرة وذكر أبن القيم رحمه الله أن رحى العبادة تدور على خمسة عشر قاعدة وبيانها أن العبادات إما أن تكون عبادة القلب أو عبادة اللسان أو عبادة الجوارح وكل من هذه الثلاث على خلاف بين أهل العلم في تفصيلها تتعلق بها الأحكام الخمسة وهي الواجب والمستحب والمباح والمكروه والمحرم، وهناك واجبات للقلب وواجبات للسان وواجبات للعمل وهكذا الثلاثة على خمسة يخرج لنا خمسة عشر قاعدة من قواعد العبادة وأنواعها .

ندخل الآن في بيان أو التعليق على أبياته رحمه الله تعالى :

الطالب :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم أغفر لنا ولوالدينا ولشيخنا وللحاضرين والمستمعين قال الشيخ عبدالرحمن أبن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في منظومته :

سعد الذين تجنبوا سُبل الردى	**تيمموا لمنازل الرضوان**
فهم الذين أخلصوا في مشيهم	**متشرعين بشرعة الإيمان**

الشيخ:

نعم بيّن رحمه الله تعالى في هذا البيت الأول قال سعد الذين تجنبوا سبل الردى وتيمموا لمنازل الرضوان بيّن رحمه الله أن من قام لله عز وجل بهذه المقامات التي ستأتي كان من أهل السعادة، سعد الذين ثم بيّن المقامات إلى آخر القصيدة، فمن أراد السعادة فيلزم هذه المقامات فسعادة العبد هو في كمال إفتقاره إلى ربه وأحتياجه إليه في أن يشهد ذلك ويعرفه ويتصف بالذل والخشوع والخضوع لله سبحانه وتعالى يقول شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله "سعادة العبد في أن يفعل المأمور ويترك المحظور ويسلم للمقدور" هذه جملة من مقامات التعبد وأقتصر على ثلاث لأهميتها أبن القيم رحمه الله تعالى له جملة من الأقوال في بيان صفات أهل السعادة فقال "أصل سعادة العبد وفلاحه في ثلاثة أمور" قال في أن ينظر في أي فعل هل هو بطاعة أم ليس بطاعة ؟ ثم ينظر هل هو معان عليه ويستطيعه أم لا يستطيعه ؟ ثم ينظر هل أتى هذا العمل من بابه أم ليس من بابه ؟ فينظر هل هو طاعة أو ليس بطاعة اي هذا العمل يريد به وجه الله هو الإخلاص وينظر هل هو مما يستطيعه لأن المؤمن لا ينبغي أن يذل نفسه

وينظر هل هو متبع له أو في فعله للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا إتيان العمل من بابه قال وهذا مفاد قول الله عز وجل وهذا من فوائد سورة الفاتحة بجانب فوائد كثيرة ذكرها أهل العلم قال (إياك نعبد) فهذا في مقام هل هو طاعة أو ليس بطاعة ؟ (وإياك نستعين) هل هو معان عليه أو ليس معان عليه ؟ ثم (إهدنا الصراط المستقيم) هل هو متبع وأتى الأمر من بابه أو لم يأته من بابه ؟ ويقول رحمه الله في الجواب الكافي قال إمتثال أوامر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من إمتثال أوامر الله وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامر الله هذا أعظم أبواب السعادة وله عبارة جميلة في الوابل الصيب يبّين أن عنوان السعادة وهي التي نقلها شيخ الإسلام في أول القواعد الأربع قال عنوان السعادة أن يجعلك ممن إذا أعطي شكر وإذا أبتلي صبر وإذا أذنب أستغفر قال هذه الثلاث هي عنوان السعادة فمن سار إلى الله في مقام الصبر والشكر والتوبة كان من أهل السعادة وستأتي هذه المقامات أيضًا فخلاصة الأمر في غاية السعادة أن يكون همك له وحده فمن كان همه لله وحده في كل ما يأخذ ويترك ويفعل وينتهي يكون كله لله عز وجل .

فلواحد كن واحدًا في واحد   أعني سبيل الحق والإيمان

كن لله واحد غايتك واحدة وعبادتك لمعبود واحد في طريق واحد وهو الصراط المستقيم يقول رحمه الله أحرص أن يكون همك واحدًا وأن يكون هو الله وحده فهذا غاية السعادة وصاحب هذا الحال أنظروا إلى قيمة السعادة عند السلف قال وصاحب هذا الحال في جنة معجلة قبل جنة الآخرة وفي نعيم عاجل قبل نعيم الآخرة ومن أراد التوسع في السعادة وأنواعها وأبوابها فعليه بكتاب مفتاح دار السعادة للعلامة أبن القيم رحمه الله تعالى .

من أهل السعادة ؟ بيّن أول مقام من مقامات أهل السعادة وهو تجنب سبل الردى والإبتعاد عن طرق الضلال "سعد الذين تجنبوا سبل الردى" فهذا كما قال السعدي في الدرة الفاخرة قال هذا أصل طريق أهل السعادة وقاعدة سيرهم، هذا أصل الطريق وقاعدة السير إلى الله عز وجل وهو تجنب طرق الهلاك وسلوك طرق الفلاح، تجنبوا سبل الردى وتيمموا أي قصدوا منازل الرضوان وسبل الهلاك وسبل الردى كيرة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبن مسعود (خط خطاً

مستقيمًا وخط عن يمينه وشماله خطوطًا فقال هذا صراط الله المستقيم وهذه السبل كثيرة وعلى كل سبيلٍ منها شيطان يدعوا إليها) (يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (البقرة – الآية ٢٥٧) جمع الظلمات لأنها كثيرة وأفرد النور لأنه واحد وهو الصراط المستقيم فسبل الضلال والإنحراف كثيرة في باب الشهوات وفي باب الشبهات وكلما بعد الزمان عن عهد النبوة أزدادت الفتن وأزدادت المحن وأزدادت الشهوات وأزدادت الشبهات يحتاج الأمر إلى زيادة في البات وزيادة في الجهاد جهاد النفس في مقاومة هذه السبل التي تهلك العبد وترديه، أبن القيم رحمه الله تعالى يبّين أصول هذه السبل فيقول "الوصول إلى المطلوب، الذي يسير إلى الدار الآخرة وصوله إلى الدار الآخرة بسلامة وسعادة موقوف على ثلاثة أمور هجر العوائد وقطع العوائق وقطع العلائق" أما هجر العوائد وهو الأول فهو هجر ما أعتاده الناس مما يخالف الشرع أو مما يدعوا إلى ترك الشرع والحق والطاعة مثل أعتياد الناس على الدعة والراحة وترك طلب العلم وهجر المساجد وهجر الحلقات أو ما ألفوه وأعتادوه مما يخالف الشرع من العوائد عادات المجتمع وغيرها فلا يمكن للعبد أن يسير إلى الله إلا بترك العادات التي تخالف الشريعة ويثبت على هذا الأمر والثاني ما هو ؟ قطع العوائق قال والعوائق ثلاث: عائق الشرك الأكبر والأصغر ويزول بتجريد التوحيد، وعائق البدعة ويزول بتحقيق السنة، وعائق المعصية ويزول بتصيح التوبة، الشرك والبدعة والمعاصي والثالث قطع ماذا ؟ العلائق وهو كل ما تعلق به القلب دون الله ورسوله ما تعلق بالقلب من توجه إلى غير الله من تقديم محبة النفس على محبة الله ومحبة رسوله من تقديم ملاذ الدنيا وشهواتها على طاعة الله وطاعة رسوله أو صحبة الناس والتعلق بهم من دون مصلحة شرعية هذه كلها علائق تعلق بالقلب تضعف سيرك إلى الله عز وجل وكلما تعلق أو كلما قوي تعلق القلب بمطلوبه ضعف تعلقه بغيره كلما أزداد تعلقك بهذه العلائق دون الله ورسوله ضعف تعلقك بالله فأما هذه وأما هذه فالضعف هنا يقوي الجانب الأخر والضعف في الجانب الأخر يقوي الجانب الأخر، والعبد عليه أن يقوي علاقته علاقة قلبه بالله وأوامره وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام .

ومن تفصيل هذه العوائق ذكر أهل العلم أيضًا أنها سبعة قال وهي خطوات الشيطان، الشيطان يأتي إلى العبد في سيره إلى الله والدار الآخرة فيقطع عليه الطريق في واحد من هذه العوائق التي هي كم ؟ سبعة قال أبن القيم: الشيطان يتدرج بالعبد في هذه السبع همه الأول العائق الأول إن ما أستطاع نقله إلى الثاني ما أستطاع نقله إلى الثالث ما أستطاع إلى أن ينقله إلى السابع الذي لا مفر لأحد منه، العقبة الأولى وهي عقبة الكفر بالله بدينه وبلقائه وهذا غاية مراد أبليس وأتباعه أن يوصل العبد إلى الكفر والشرك بالله عز وجل وطريق الخلاص من هذا العائق هو التوحيد فإن رأى إبليس أن لا حيلة في هذا العبد من ولوجه في الشرك نقله إلى العائق الثاني وهو عائق البدعة فسلك به في أودية الإبتداع وطرق أهل الضلال ومذاهب الثنتين والسبعين فرقة وشتى أصنافهم وفرقهم وسبيل الخلاص من هذا العائق هو تجريد المتابعة إن سلم من البدعة نقله إلى عائق الكبائر فيزينها له ويعوده عليها ويفتح عليه باب التسويف اليوم أتوب غدًا أتوب إذا كبرت أتوب ويفتح له باب الرجاء سيغفر الله لك متى ما تبت سيتوب الله عليك فيجعله في باب التسويف والرجاء حتى يموت على هذه الكبيرة فباب الخلاص منها ومن العقبة التي تليها التوبة إلى الله عز وجل، إن سلم من الكبائر نقله إلى ماذا ؟ إلى الصغائر وهي العقبة الرابعة فيهوّن أمر الصغائر على قلبه حتى يدمن الصغائر ويصر عليها وقد تنتقل الصغائر إلى كبائر بسبب الإصرار والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (إياكم ومحقرات الذنوب قال مثلها مثل قوم نزلوا في واد فأرادوا نارًا فجاء هذا بعود وهذا بعود وهذا بعود حتى أشعلوا نارًا كبيرًا) هذا مثل الصغائر تجتمع في قلب العبد صغيرة صغيرة يستمرئها يتعود عليها سيغفر الله لي حتى تهلكه، إن سلم من الصغائر ولا يسلم منها أحد نقله إلى عقبة المباحات فأشغله بها عن الإستكثار من الطاعات يأتي حلقة علم يذهب في مباح هو مباح ليس بأثم لكن الشيطان سلك به في المباحات وأغرقه فيها حتى يبعده من الإستكثار من الطاعات وهذا لا يتنبه إليه إلا أهل المقامات والتعبد فإن سلم من الإستمرار من المباحات وكان من أهل الطاعات شغله بعائق سادس وهذا لا يسلم منه إلا من فقه منازل العبادات فعرف هذه العبادة أفضل من هذه العبادة وهذا يحتاج إلى علم وفقه لذلك قال قل ما يسلم من هذه العقبة وهي

عقبة الأعمال المرجوحة المفضوله من الطاعات يأتي يحسن في قلبه المفضول حتى يترك الفاضل يأتي إلى عمل دون عمل فيشغله بالعمل الأقل عن العمل الأفضل ولا يمكن أن تسلم من هذا إلا بالعلم والفقه ومعرفة منازل العبادات والعبادات تتفاضل وأحيانًا العبادة الواحدة تكون في وقت أفضل وتكون في وقت مفضول بحسب الأحوال وحسب الازمان وحسب الأماكن وهكذا فالمسألة تحتاج إلى علم قال إن سلم فتبقى العقبة رقم سبعة والأخيرة وهي التي لا يسلم منها حتى الأنبياء وهي عقبة تسليط جنده عليهم بأنواع الأذى فينظر هل يصبرون أو لا يصبرون ؟ وهذه لا يسلم منها أحد فأوذي الأنبياء والرسل والأولياء والصحابة والصالحون والأئمة والعلماء فصبروا وجاهدوا وواجهوا هذه الفتن بالصبر واليقين .

قال:

وتيمموا لمنازل الرضوان

فمنازل الطاعات كثيرة وعديدة وكلما أزداد الإنسان علمًا أزداد معرفةً بالطاعات وعرف منازل رضى الله عز وجل وهي المنازل التي يرضى عنها الله سبحانه وتعالى أو توصله إلى رضى الله عز وجل فمنازل الرضوان الأعمال الصالحة والظاهرة والباطنة من الأقوال والاعمال والإعتقادات التي تورث رضوان الله عز وجل، يقول أبن القيم رحمه الله "الصادق مطلوبه رضى ربه وتنفيذ أوامره وتتبع محابه" ينظر ماذا يحب الله يفعله فهو متقلب فيها يسير معها أينما توجهت ركائبها سار معها ويستقل معها أينما أستقلت مضاربها يقول فبينما هو في صلاة إذ رأيته في ذكر إذ رأيته في جهاد إذ رأيته في غزوة إذ رأيته في صدقة يتقلب في أحوال الطاعات متى ما أنفتح له خير أداه وعمله وأجتهد فيه وهذه منازل الرضوان قال فهم الذين أخلصوا في مشيهم متشرعين بشرعة الإيمان ذكر هنا رحمه الله مقامين من مقامات التعبد وهو مقام الإخلاص ومقام المتابعة، ومقام الإخلاص هو أعظم المقامات فالإخلاص سبيل الخلاص فالعبد لا يكون محققًا لإياك نعبد وإياك نستعين إلا بأصلين وهما هذان المقامان الإخلاص والمتابعة والإخلاص دلت عليه نصوص الشريعة الكثيرة (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (البينة – الآية ٥)، (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) (الزمر – الآية

٢)، (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي) (الزمر – الآية ١٤)، بل الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا في هذه الحياة إلا لأجل تحقيق هذين المقامين لأن بالمقامين تتحقق العبادة قال (الذي خلق الموت والحياة) لماذا خلقها الله ؟ ليبلوكم أيكم أحسن عملًا، الله عز وجل أبتلانا وخلقنا للنظر هل نخلص ونتابع أم لا نخلص ولا نتابع أيكم أخلص عملًا قال الفضيل أبن عياض أحسن عملًا قال أخلصه وأصوبه أي الإخلاص والمتابعة هو الصواب قيل يا أبا علي فسر لنا هذا قال إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا فالعمل لا يقبل عند الله عز وجل حتى يكون العبد فيه مخلصًا لله يرجو وجه الله لا يلتفت قلبه لغير الله وهو في عبادته ظاهرها وبطانها متابع للرسول صلى الله عليه وسلم، من أدلة ذلك قول الله عز وجل في أواخر سورة الكهف (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) (الكهف – الآية ١١٠) وهذا متابعة (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) وهذا الإخلاص، الله عز وجل يقول (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) (النساء – الآية ١٢٥) أسلم وجهه لله إخلاص، وهو محسن متابعة، أحسن في عمله أي تابع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يكون الإخلاص تامًا حتى تكون المتابعة تامة ولا تكون المتابعة تامة حتى يكون الإخلاص تامًا فهما مقترنان لا ينفكان لكن قد يضعف أحدهما عن الأخر والنبي عليه الصلاة والسلام قال (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم) أي لا يكون القلب فيه غل وحقد مع هذه الإعمال قال (إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين) الإخلاص كره أولًا ثم نهى عن الغش وذكر المتباعة وهو لزوم جماعة المسلمين فذكر الإخلاص وأيضًا المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن العبد إذا ما أخلص في عمله حبط عمله وذهب هباءًا منثورًا (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا) (الفرقان – الآية ٢٣) (مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ) (ابراهيم – الآية ١٨) ، عملك لا ينفعك إذا لم يكن على الإخلاص مثل الرماد الذي تأتيه ريح شديدة وعاصفة فتذهبه لأنك ما أردت به وجه الله عز وجل أردت الرياء قلبك ليس متوجهًا إلى الله أردت السمعة عند الناس، النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث القدسي (قال الله من عمل عملًا أشرك

معي فيه غيري تركته وشركه) قالت عائشة لما ذكرت أو ذكر عبدالله أبن جدعان وكان يطعم الحجاج وهذا عمل صالح إطعام الحجاج مشهور بالكرم فقالت عائشة (يا رسول الله أينفعه ذلك ؟ قال لا يا عائشة إنه لم يقل يومًا رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين) لم يكن على التوحيد والإخلاص فما نفعه العمل أبو طالب عمله من أفضل الأعمال حماية رسول الله عليه الصلاة والسلام وبعد موته تسلط عليه كفار قريش بالأذى ومع هذا يقول يا عمي قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله كان أخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، ما كان مخلصًا لله عز وجل فما نفعه هذا العمل وإنما شفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم إكراما لرسول الله أن كان أخف أهل النار عذابًا لكنه مخلد في النار .

وأول من تسعر بهم النار ثلاثة عالم ومتصدق ومجاهد، وقاريء ومتصدق ومجاهد هذه في صورتها من أفضل الأعمال ومع هذا أول من تسعر بهم النار لماذا ؟ لأنهم ما حققوا الإخلاص يقال هل قرأت القرآن وتعلمت العلم أو لماذا قرأت القرآن وتعلمت العلم ؟ قال لوجهك قال كذبت بل تعلمت وقرأت ليقال عالم وقاريء وهذا كذبت بل جاهدت ليقال شجاع وهذا كذبت تصدقت ليقال جواد وكريم فكانوا أول من تسعرت بهم النار، وأما متابعة النبي عليه الصلاة والسلام فهي أدلة كثيرة (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي) (آل عمران - الآية ٣١)، هذه الآية يسميها أهل العلم آية المحنة أمتحن الله عز وجل من يدّعي محبة الله قال الحسن البصري ادّعى قوم محبة الله فأنزل الله عز وجل هذه الآية إبتلاءًا لهم تحب الله اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذان الأمران هما أصل وأركان السير إلى الله والدار الآخرة، أبن القيم رحمه الله تعالى يقول "أركان السير إلى الله وأصول الطريق التي من لم يبني عليها طريقه فطريقه مقطوع ثلاث: الإخلاص والصدق والمتابعة" فإن عدم الإخلاص والمتابعة كان سيره إلى الخلف وليس إلى الأمام لم يكن سيره على الطريق المستقيم أنعكس سيره إلى الخلف وإلى طرق الضلال والإنحراف ما لم يأتي عليه أمرنا فهو رد مردود لأنه ما وافق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبن القيم يقول الناس في هذين المقامين أربعة أقسام خير الناس من عبد الله بالإخلاص والمتابعة وشر الناس من أحدث بدعًا وتوجه بها إلى غير الله جمع بين الإبتداع والشرك ومنهم من عنده نوع إخلاص

لكنه لم يوفق للسنة وهؤلاء هم أهل البدع لماذا تفعل هذه البدعة ؟ أحب الله أحب الرسول أريد رضى الله لكنه غير مقبول لأنه ماكان على هدي رسول الله ومنهم من يكون في ظاهره المتابعة لكن قلبه لغير الله هؤلاء المراؤن وأهل النفاق المراؤن وأهل النفاق هذه أربعة أقسام لأهل أو لمن ؟ بالنسبة لمقام الإخلاص ومقام متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فالعبد لا يمكن أن يصل إلى مقام الصديقية كما قال أبن تيميه رحمه الله كمال الإخلاص والأنقياد والمتابعة للخبر والأمر الظاهر والباطن به يصل العبد الى كمال الصديقية يعني بالاخلاص والمتابعة بقوتهما وكمالهما يصل بالعبد أن يكون صديقًا ولا يمكن أن يحقق هذين الأصلين إلا بالعلم العلم بالتوحيد وحقيقته وفضله والعلم بالشرك وخطورته وأنواعه عند ذلك تسلم من الشرك وتكون من أهل الإخلاص والعلم بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم بها تكون متابعًا له لذلك أبن القيم في أول زاد المعاد قال "وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين ويدخل في عداد أتباعه وشيعته وحزبه" والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، كلما عرفت هدي رسول الله وسننه وأحواله وأعماله كلما أزددت في باب المتابعة وكلما نقص عندك هذا الباب كلما نقص عندك باب المتابعة وإذا انحرم هذا الباب كنت من المحرومين من باب المتابعة بين مستكثر ومحروم .

وهم الذين بنوا منازل سيرهم بين الرجا والخوف للديان

ذكر هنا رحمه الله أيضًا مقامين من مقامات العبودية وهما الرجاء والخوف وهما كما عبّر أهل العلم هما العينان للسائر إلى الله لا يمكن أن تسير إلى الله وتنظر إلى طريقك إلا بعين الرجاء وعين الخوف والأمران لا بد لهما من المحبة لذلك قال هنا رحمه الله الرجاء والخوف ثم ذكر في البيت الذي يليه المحبة فأولًا مقام الرجاء والرجاء هو طمع الإنسان بحصول أمر قريب وقد يكون بعيدًا والرجاء هو الذي يحذوا القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ، قال الله سبحانه وتعالى (مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ) (العنكبوت – الآية ٥) أولئك يرجون رحمت الله ، الرجاء من مقامات التعبد التي لا يمكن أن ينفك عنها المتعبد وهذا الرجاء لا يكون

صحيحًا حتى يقترن بالخوف والمحبة رجاء مقترن بالذل والخضوع هذا لا يكون إلا لله عز وجل الرجاء المتضمن للخوف والمحبة والتعبد هذا رجاء العبادة الذي لا يكون إلا لله وصرفه لغير الله شرك والرجاء على ثلاثة أنواع نوعان محمودان ونوع مذموم، الأول من عمل طاعة رجا ثوابها والثاني من تاب من معصية رجا قبول توبته فهذان ماذا ؟ محمودان رجاء في عمل الطاعة ورجاء في ترك المعصية والتوبة منها وأما الرجاء المذموم فهو الرجاء بلا عمل تقول له تعال صلي يقول الله غفور رحيم أرجو رحمة الله إن شاء الله الله يغفر لي لماذا لا تعمل ؟ لماذا لا تتصدق ؟ الله غفور رحيم، فهذا في الحقيقة ليس برجاء بل هو غرور وتمن مذموم وليس برجاء محمود، فكما قال بعض السلف علامة صحة الرجاء حسن الطاعة أما من يرجوا ولا يطيع فهذا ليس براج بل هو في باب الغرور والله عز وجل جمع في جملة من الآيات بين هذين المقامين وهم مقام الرجاء ومقام الخوف ومقام المحبة قال تعالى (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) (الإسراء – الآية ٥٧)، فالعبد بين سلوكه طريق التقرب إلى الله وهذا لا يفعله إلا المحب فهذا دليل المحبة يرجون رحمته دليل الرجاء ويخافون عذابه الله عز وجل قال (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) (الحجر – الآية ٤٩– ٥٠)، جمع بين الرجاء والخوف (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء – الآية ٩٠)، تجمع بين الخوف والرجاء بل إن الله عز وجل ينهى عباده عن ترك الرجاء ولو كثرت ذنوبهم وخطاياهم (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر – الآية ٥٣) ، وأما مقام الخوف وهو كذلك أجل منازل السائرين وأنفعها للقلب وهو فرض على كل أحد يجب عليه أن يخاف الله عز وجل ومن مقامات التعبد التي صرفها لغير الله خوف العبادة لا يكون إلا لله (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران – الآية ١٧٥)، (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البرة – الآية ٤٠)، (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ) (المائدة – الآية ٤٤)، والخوف كما تعلمون أنواع ثلاث خوف طبيعي وهذا يكون في قلوب الناس وهو إما محمود أو مذموم فإن كان مما يخاف منه عادة فهو خوف لا يضره ليس مذمومًا وإن كان مما لا يخاف شيء لا

يخاف منه عادة أو بالغ في الخوف فهذا خوف طبيعي مذموم والذي يسمى الجبن، وخوف محرم وهو أن تترك الطاعة خوف الناس أو أن تترك إنكار المنكر خوف الناس وخشية كلامهم فهنا دخلت في المحرمات، وخوف السر وهو الخوف التعبدي وهو الذي لا يكون إلا لله عز وجل وهو خوف العبادة الخوف من الأموات وأهل القبور هذا شرك بالله عز وجل والله عز وجل بيّن أن من ترك الخوف من الأمم حل به العذاب والعقاب فقال سبحانه عن قوم هود، قوم هود قالوا لنبيهم (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ) (الشعراء – الآية ١٣٦)، ما نخاف منك ولا نخاف من ربك (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) (الشعراء – الآية ١٣٧-١٣٨) فقال الله عز وجل (فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ) (الشعراء – الآية ١٣٩)، تركوا مقام الخوف فأهلكهم الله سبحانه وتعالى، وينشأ خوف العبد من ثلاثة أمور خوف العبد ينشأ من ثلاثة أمور :

الأمر الاول: أن يعرف قبح الجناية وعظمها، النصوص الواردة في قبحها وعقوبتها .

الأمر الثاني: تصديه بالوعيد كلما صد الوعيد كلما أزداد خوفه .

والامر الثالث: وهو من اخطر ما يكون على العبد المؤمن وهو أنه لا يعلم هل يمنع من التوبة أو لا يوفقه الله للتوبة قد يكون من عقوبة الذنب أن الله يحرمك من التوبة يحول ين المرء وقلبه (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) (الصف – الآية ٥) (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين – الآية ١٤) هذا من أعظم العقوبات التي يغفل عنها العبد في تساهله بذنبه، أتوب السنة القادمة لا تعلم أن الذنب هو نفسه التي أنت فيه هو من موانع توبتك ومن عقوباته أنه يدخلك في باب التسويف ويمنعك من الرجوع إلى الله عز وجل والخوف والرجاء إذا أجتمعا في قلب العبد دفعاه إلى العمل الصالح فمع الرجاء يزداد في باب ماذا ؟ الطاعات ومع الخوف يزداد في البعد عن المنكرات فالرجاء يحدوه إلى الطاعة والخوف يمنعه من المعصية فلا يمكن أن يسير على الطريق إلا مع هذين الأمرين لأن الرجاء إذا تركه دخل في باب القنوط من رحمة الله والخوف إذا تركه دخل في باب الأمن من مكر الله وكلاهما من كبائر الذنوب الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله وكلاهما مضادان لقضية الرجاء وقضية الخوف من الله عز وجل والعبد لا بد أن يعبد الله بالخوف والرجاء والمحبة وهما أركان العبادة كما ذكرنا

في البداية ثلاث الخوف والرجاء والمحبة وكلها لا يخلو منها قلب المؤمن لأنه إذا خلا من واحدة منها ضل فإذا عبد الله بالمحبة وحدها هذا من غلاة الصوفية الذين يقولون نعبد الله محبة به لا خوف ناره ولا طمعا في جنته واذا عبد الله بالخوف وحده هؤلاء الخوارج الذين ما نظروا إلا إلى نصوص الوعيد والكفر والخلود في النار والذين عبدوا الله بالرجاء وحده ونظروا لأحاديث وآيات الرحمة والمغفرة فقط هؤلاء المرجئة الذين قالوا إن الناس كلهم مؤمنين كاملي الإيمان ولا تضر المعصية وأما أهل الايمان فعبدوا الله بالمحبة والرجاء والخوف جميعًا ومن فوائد سورة الفاتحة وفي هذا رسالة لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب تدبر سورة الفاتحة الحمد لله رب العالمين دليل المحبة لأن لا يحمد إلا المحبوب هذا الفرق بين الحمد والمدح لأنك لا تحمد إلا من تحب وأما المدح قد تمدح شخصًا وأنت تكرهه تمدحه تريد تكفى شره أو تريد ما عنده من الدنيا مثلًا أنت لا تحبه لكن الحمد لا يكون إلا مع المحبة، الحمد لله رب العالمين دليل المحبة، الرحمن الرحيم دليل الرجاء، مالك يوم الدين ذكر اليوم الآخر يوم الحساب دليل الخوف ثم قال لك المحبة والرجاء والخوف هي أركان العبادة فلا تعبد الله عز وجل إلا بها، إياك نعبد بهذه الأركان الثلاثة السابقة فلا تتم العبادة إلا بما سبق من هذه الأركان الثلاثة لذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أنس دخل على رجل شاب وهو في الموت في أخر حياته قال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان أي ماذا ؟ الخوف والرجاء لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن يعني الموت إلا أعطاه الله الذي يرجو وأمنه الذي يخاف، لذلك أهل العلم من المسائل المشهورة في هذه المسألة ونختم بها وهي متى يغلب جانب الرجاء ؟ ومتى يغلب جانب الخوف ؟ كما قلنا العبد يعبد الله بالثلاث المحبة لا تخرج من قلب العبد أبدًا وعليه دائمًا أن يرفعه ويعمل بمحاب الله لكن الرجاء والخوف قد يزيد أحدهما على الأخر فمتى يزيد الرجاء ومتى يزيد المؤمن الخوف ؟ والقول المشهور في ذلك قالوا إنه في حال الصحة يغلب جانب الخوف إذا كان في صحته وعافيته يغلب جانب الخوف حتى لا تستدرج في النعم وفي جانب المرض والموت وحضور الأجل يغلب جانب الرجاء كما قال عليه الصلاة والسلام (لا يموتن أحدكم إلا

وهو يحسن الظن بربه) وأجود الأقوال في هذه المسألة هو أن المرء طبيب نفسه إن رأى في قلبه ضعفًا في جانب الرجاء وتسلط عليه مثلًا الخوف واليأس من الحياة غلب جانب الرجاء وإن رأى من نفسه التساهل في المعاصي والبعد عن الله غلب جانب الخوف فالمرء يعالج نفسه وهو طبيب نفسه لكن القلب لا يخلوا عن هذه الثلاث فإن خلا من واحد منها هلك .

في الدرس القادم إن شاء الله نأخذ المحبة التي هي طريق السير الى الله سبحانه وتعالى ايضا بجانب هذه الرجاء والخوف .

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وجزاكم الله خيرا .